

الأساليب الإرشادية النفسية وفناتها في التعامل مع ضحايا الإبادة الجماعية

أ.م. د. جاسم محمد عيدي

الجامعة المُستنصرية- كلية التربية.

Jassim_tht@uomustansiriyah.edu.iq**(مُلخَصُ البَحْث)**

أثرت الإبادة الجماعية على المُجتمعات البشرية منذ العصور القديمة، وفي العصر الحديث كانت الإبادة الجماعية ظاهرةً عالمية، من المذابح في أميركا المُستعمرة وأفريقيا وأستراليا.. إلى محرقة يهود أوربا، والموت الجماعي في الصين الماوية، وكمبوديا، وفلسطين، وبورما، وفي واقعا العراقي كانت الأنفال، وحلبجة، وإبادة أهالي الأهوار، وسبايكر، وسنجار مصداقا للإبادة الجماعية في بلادنا، وفي السنوات الأخيرة تطوّر نظام دراسات الإبادة الجماعية؛ لتقديم التحليل والفهم للظاهرة وفهم العنف سايكولوجيا، وتطور الإرشاد والمساعدة النفسية للناجين ضمن سايكولوجيا الناجين من الإبادة الجماعية، ولما كان الإرشاد النفسي بوصفه فرعاً تطبيقياً لعلم النفس فأنته يُسهم في مُساعدة الأفراد الناجين من هول الإبادة الجماعية.. على التبصّر وإدراك مكانهم تمكنهم النفسي، وصلابتهم، واستثمار أفضل الخيارات والموارد والفرص المُتاحة لهم (Gladding, 1996)؛ لذا يأتي البحث الحالي لاستعراض عدّد من الأساليب الإرشادية وفناتها هذه الأساليب مع ضحايا الإبادة الجماعية، ودورها في تجاوز خبرات الإبادة المؤلمة التي تعرض لها هؤلاء الأفراد، ويخُصّ البحث إلى إستنتاجاتٍ ومقترحاتٍ في أن يُصبح الدعم والمُساعدة النفسية ضرورةً وقيمةً علياً تفرضها الأعتبارات الإنسانية، والأخلاقية، والدينية، ويوصي باعتماد إستراتيجية وطنية تتبناها الدولة في جُل مؤسساتها في إنشاء مراكز إسنادٍ ضحايا الإبادة ودعمهم.

تمهيد:

في سيكولوجيا الابادة الجماعية ترى "كريستن مونرو" وزملاؤها رؤيةً غاية في الخطورة وهذه الرؤية مُبتناةً على إنَّ نظرية الهوية الاجتماعية تدعو الى كثيرٍ من القلق؛ لِإنَّها تُوحي إنَّ الابادة الجماعية والعنصرية ربما لا تكون في الحقيقة سوى إمتدادٍ مُتطرفٍ للسلوك الجماعي العادي والتماهي الطبيعي مع الجماعة!! والنظريات السلوكية العامة كنظرية الهوية الاجتماعية لا تستطيع على أية حالٍ إيضاح الأسباب التي تأخذُ معها الهويات الاثنية أحياناً شكّل سلوكياتٍ مُتطرفة، فالتصنيف الاجتماعي الذي تُبنى عليه نظرية الهوية الاجتماعية له

دور كبير في التفكير بطريقة "نحن" و"هم" وهو يُذكرنا في إننا حين نتماهى مع جماعةٍ نميلُ الى تضخيم الفروق بيننا وبين الآخرين والى تضخيم العداء للجماعات الأخرى في كثيرٍ من الأحيان، ونميلُ بالمقابل الى تعزيز التعاون داخل جماعتنا وتعزيز فاعليتها. وفي تعريفها للإبادة الجماعية ترى أنها تدميرٌ مقصودٌ و مُمنهجٌ للبشر ليس بسببِ أفعالٍ فرديةٍ او ذنوبٍ ارتكبوها وإنما بسببِ إنتمائهم الى جماعةٍ قوميةٍ او أثنيةٍ او عرقيةٍ او دينيةٍ، وتوجدُ مجموعة عواملٍ لوقوع الابادة، بعضها موقفي والآخر أكثر نزوعية منها التصنيفات الاثنية الواضحة وعوامل موقفية كالضائقة الاقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي أو الحرب والثورة فينقسم المجتمع على نفسه وبشكلٍ مؤقتٍ أو دائمٍ الى عناصرٍ متصارعةٍ وفقاً للخطوط الاثنية القائمة داخله، وتمثلُ هذه الخطوة خطوةً مهمةً في عملية الإبادة ولكنها لا تقود بالضرورة إلى ذبح أعضاء جماعةٍ على يد جماعةٍ أخرى، وفي العامل الثالث تأتي التصورات الذهنية المتبادلة، إذ لا بد للجماعات المختلفة أن تأخذ في النظر جيرانهم على إنهم الآخرون، ولا بد من النظر اليهم نظرةً نمطية كما لا بد من التعامل معهم بوصفهم كبشٍ فداءٍ، لتحميلهم اللوم على ما تواجه الضحية من ظروفٍ صعبةٍ. وما يؤكد نظرية "مونرو" هو إن الإبادة الجماعية تحدث داخل مجتمعاتٍ مُختلطةٍ أصلاً، وإن اللامساواة المُزمنة في المشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها تفتح الطريق لحدوث الابادة ولاسيما عندما يكون هناك تاريخٌ طويلٌ للصراع بين الجماعات، والذي يؤكد العامل الثاني هو ظهور أوضاعٍ اقتصاديةٍ وسياسيةٍ تُزعزع الاستقرار، وتهدد النظام الاجتماعي ومصداق ذلك ما حصل في البلقان، اما العامل الثالث فيؤكد إن الإبادة الجماعية نتاج الأحقاد القديمة وغياب الضابط الحقيقي للواقع كما هو الحال في يوغسلافيا عندما كان الاتحاد السوفيتي هو الضابط! لكن هذا التحليل لا يصمد؛ لأن يوغسلافيا لم تكن حليفة لهم، أو أن الضائقة الاقتصادية التي نجمت عن تفكيك الترتيبات الاقتصادية القائمة، والدخول سريعاً في المياه الباردة نظام السوق العالمي كان له أثره في هذه الإبادة كما حصل في راوندا عندما تدفق التوتسي إلى البلاد، ونقص الاراضي أدى لاحقاً الى عدم استقرار اقتصادي ومهدد للربح والإبادة؛ هذه الشروط الموقفية تمثل قوة حاسمة ملازمة لحالات الإبادة. إلا أنها ليست كافية لوحدها فلا بد من وجود مجموعة خطواتٍ مهدت للإبادة، وترى "مونرو" إن الإبادة الجماعية نفسياً تمثلُ بظهور نوعٍ من الايديولوجية التي تعملُ على إعطاء الشرعية وتسويغ الذبح الذي يقع ويأخذ التسويغ شكلاً علمياً غريباً فالمثير للسخرية هو الاعتقاد بالحتمية البيولوجية تم توظيفه لتسويغ الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، وتصويرها على إنها حربٌ مقدسة لتحرير الجسم السياسي من الأنسجة المريضة!!، إذا تُصبح الإبادة الجماعية إجراءً

علمياً وواقعياً من العدوى التي يأتي بها وسطاء التلوث العنصري الذي يُنظر إليهم بوصفهم فطريات وبكتيريا مُسببةً للمرض، والتدهور، والموت لدى الشعوب المُضيقة، وينجم عن تلك الأيديولوجية الراديكالية تجاه شيطنة جماعة الأقلية والشعور بالتفوق العنصري والديني عليهم (هوتون، ٢٠١٥، ص ٢٩٣-٢٩٩).

المحور الأول: الوقاية..

لما كان الإرشادُ عملية المساعدة النفسية للأفراد والتي تتضمن إجراء تعديلاتٍ في العمليات النفسية التتموية لمدى طويل، بما في ذلك التكيف المهني، والتعلم العسكري، والتخطيط لديناميكيات الأسرة والتخطيط لمرحلة الشيخوخة، وإعادة التأهيل بعد الإعاقة. (Matsumoto, 2009, P.137). فالمنهجية الوقائية يُطلق عليها أحياناً منهج التحصين النفسي ضد المُشكلات والاضطرابات التي يُعانيها الأفراد. وهو منهج يهتم بالأُسوياء والأصحاء في محاولةٍ وقائيةٍ ضد حدوث المُشكلات والاضطرابات، وتهدف هذه المنهجية إلى محاولة منع المُشكلات بإزالة الأسباب المؤدية الى ذلك، كما إنَّها تعمل للكشف عن المُشكلات السلوكية والانفعالية في مراحلها الأولى مما يُسهل التصدي لها ومواجهتها، ولها ثلاثة مستويات، وتتضمن هذه المنهجية إجراءات وقائيةٍ نفسية، وتتضمن رعاية النمو النفسي السوي ونمو المهارات الأساسية (أبو أسعد، ٢٠١١، ص ٣٤-٣٥).

من مُقدمات أساليب الوقاية من الإبادة الجماعية هي:

- ١- يستطيعُ الزعماءُ النهوض بصورةٍ إيجابيةٍ بمجتمعاتهم عبر الكلمات والأفعال ومثال ذلك ما فعله "ريتشارد نيكسون" حينما بادرَ بإجراء مُحادثاتٍ مباشرةٍ ودودةٍ مع زعماء الصين، كذلك ما قامَ به الرئيسُ الفلسطيني الراحل ياسر عرفات مع "رابين" بالمصافحة باليد، وما انعكس بَعْدَ ذلك باتفاقيات أوسلو بانخفاض مُعدلِ العمليات الاستشهادية الفلسطينية.
- ٢- للميديا دورٌ قوي في إيجاد التغيير الإيجابي بين الجماعات المُتخاصمة إذا ما غَضَّضنا النظرَ عن كونها كثيراً ما تُضخُّمُ العداة بين الجماعات نفسها! فدور الإعلام والعمليات النفسية في تهيئة الرأي العام وحشده لهُ بالغ الأثر، فضلاً عن إرتباطه بالأهداف القومية للدولة ولاسيما زمن الحروب، وإعداد الدولة للدفاع، ومن دون إغفال أهمية التنسيق بين مُختلف المستويات (ابو نصر، ٢٠١٠، ص ٧). ولكن أساليب الوقاية تُوكِّدُ على الدور الإيجابي للميديا عبر التصوير المتعاطف للجماعة الأخرى، وقيمها، وعاداتها، وثقافتها، وأهدافها، وأسلوب حياة أعضائها... فإنَّ كُلَّ هذا سينهضُ ويؤسسُ لمواقفٍ إيجابيةٍ لدى الجماعة الأولى، وعوضاً عن اللجوءِ الى كبشِ فداءٍ والايديولوجيات المقسمة لاستجابات أفراد الجماعة الواحدة في ظلِّ أوضاعٍ حياتيةٍ صعبةٍ يُمكنُ للقادة والزعماء أن يُنتجوا

خُططاً للمستقبل، تضمن للمجموعاتِ وبجهودٍ مشتركةٍ تحسين الحياة كافة .. وتعد الولايات المتحدة زمن "روزفلت" وفي أثناء مرحلة الكساد الكبير خيراً مثالاً على ذلك، وأن كانت المشاكل المجتمعية ليست بالحجم نفسه مع مواقف الإبادة الجماعية، كذلك حدثت المصافحة التاريخية بين "رابين" و"عرفات" في أثناء اتفاقيات "كامب ديفيد" وأوسلو" ويمكن أيضاً للأطراف الأخرى أن يؤدي دوراً مهماً.

٣- يمكن للتغيرات البنائية المجتمعية مثل التغيرات الاقتصادية أن تؤدي دوراً مهماً في الوقاية من الإبادة الجماعية وخير مثال على ذلك في أيرلندا الشمالية مثلاً: أسهم الرخاء المادي الكبير والفرص الاقتصادية الكبيرة للأقلية من الكاثوليك في تعزيز احتمالات السلام وبنائه، والعناصر المتتورة من الحكام البريطانيين تبناوا هذا التغيير، وبشهادة الأمم المتحدة فإن التنمية الاقتصادية هي الطريق لخفض العداء بين الجماعات، فتحسين حياة الفئات المهمشة في المجتمع، والتقليل من أوجه عدم الانصاف والعدالة قضايا مهمة في القضاء على الخلافات، فتحسين الوضع الاقتصادي يكون فاعلاً وشغلاً على المدى القصير، فالنمو الاقتصادي أيضاً قد يكون له جنابٍ عرضية، إذ إنّه قد يُسهم في إيجاد المشاكل فتُصبح الجماعات المُميزة هي المستفيدة الأولى من هذا النمو الاقتصادي مما يُولد من جديد الشعور بالظلم، كما أن التنمية الاقتصادية لها انعكاسات وتغيرات اجتماعية عميقة، تستصحب معها آثاراً نفسية، ويتمظهر ذلك بقوة عندما يكون الصراع مؤججاً والأطراف المتصارعة قد أوغلت أذىً ببعضها، وهنا يكون العمل النفسي ضرورةً للتغلب على العداء والكراهية... ولكن هذه العمل والبناء النفسي لن يكون ذا جدوى وغير مُحتمل الحدوث من دون تغيراتٍ بنائيةٍ هيكليةٍ على المجتمعات المتصارعة.

بناء العلاقات والارتباطات المتداخلة والمُتشابكة والانخراط العميق من أفراد الجماعات المتنازعة أن تُحدث فرقاً واختلافاً مهماً بالتقليل من العنف... وخيراً مثالاً على ذلك ما حدث في أيرلندا الشمالية وإسرائيل (قبل عام ٢٠٠٠) فغالباً ما ساهمت المنظمات المحلية المتكونة من أعضاء للجانبين في التقليل وخفض العنف، وفي تجاربٍ أخرى في مقدونيا ساهم الصحفيون الذين ينتمون إلى مجموعاتٍ عرقيةٍ مختلفةٍ بكتابة قصصٍ تناولت حياة الناس بكل مجموعة ونشرها في صحفٍ كُل مجموعة، وفي ميدان علم النفس الاجتماعي لطالما أكد العلماء على أهمية الاتصال والذي يعني العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسقٍ اجتماعيٍّ مُعين يختلف من حيث الحجم، ومن حيث محتوى العلاقات المُتضمنة فيه، فالالاتصال عملية اجتماعية أساسية ولا يستطيع المجتمع الإنساني العيش من دونها، لقاء مايقدمه من نقل المعاني والأفكار. والبعد النفسي

والاجتماعي للاتصال لا يرى إنَّ هُنَاكَ علاقةً مباشرةً وبسيطةً بين الاتصال والتأثير وإنَّما تدخلُ في الحساب المتغيرات النفسية والاجتماعية التي يجري الاتصال وفقاً لها، ويمارس تأثيره عن طريقها (عودة، ١٩٨٩، ص ٣-٧٥). وترى أدبيات الإتصال ضرورة تحديد شروط هذا الاتصال؛ للتقليل من العداء، وإنَّ الاتصال السطحاني غير الجوهرية وغير الاصيل هو بالضرورة غير فاعل، ولا يُساعد ولاسيما مع الجماعات المتجاوزة وحتى يُصبح هذا الاتصال فاعلاً.. لا بدَّ من ان يتضمَّن انخراطاً وتجاوباً مع الآخر، وهُنَاكَ شروط أخرى تُحقق الاتصال الايجابي ومنها: المساواة بين المتعاونين ودعم السلطات وإسنادها وتعزيزها. وهذه الشروط لا بدَّ من تهيئتها وتفعيلها داخل المجموعات المتداخلة او المتشابكة، وكدلالة على ذلك ما حصلَ في إيرلندا الشمالية من التواصل بين الطلبة البروتستانت والكاثوليك، إذ خَفَضَ من مناسب التوتير والتعصب حين أصبحَ الانتماء إلى المجموعة المتداخلة هو الأمر الواضح والأهم... وعلى الطلبة أن يتذكروه دائماً في اثناء تشاركتهم وتفاعلهم في هذه المجموعات (سيرز وآخرون، ٢٠١٧، ص ١٢١٧).

المحور الثاني: أساليب الوقاية..

من بين الأساليب الإرشادية المهمة التصالحية بين الجماعات هُما: أسلوب التوفيق وأسلوب تقليل الحساسية التدريجي وهذا الأخير يُعدُّ واحداً من أفضل الاساليب في تخفيف الأزمات و يعود للعالم النفسي الكبير "جوزيف وولبي" (١٩١٥-١٩٩٧). ويعملُ هذا الأسلوب على إضعاف المخاوف والقلق والغضب وتخفيفها باعتماد عملية تدرجية خُطوةً خُطوةً، وعند استعمال هذا الأسلوب فإنَّ الأفراد الذين يعتمدونه يُعانون من مخاوف مرضية ومشكلاتٍ أساسها القلق وفي الوقت نفسه لديهم قُدرة الوصول إلى الاسترخاء، والتخيل، وإضافة بُعد اللون، والصوت، والحركة على الموقف وفي هذا الأسلوب مجموعة من المراحل تبدأ بالتدرب على الاسترخاء العضلي العميق، إذ كلما قلَّ التوتر قلَّ معه القلق، وعلى الأفراد أن يعرفوا إنَّ زيادة التوتيرات العضلية تُضعف قدرة الانسان على التوافق والنشاط البناء والانتاجية (أبو أسعد وعربيات، ٢٠٠٩، ص ١٤٧). أما أسلوب التوفيق الإرشادي فهو من الأساليب المهمة والذي سنتناوله في أدناه..

أسلوب التوفيق الإرشادي:

تكتسب المقاربات المفاهيمية لمفهوم حل الصراع أهميةً كبيرة ومن أمثلة هذه المفاهيم المقاربة مفهوم التفاوض، ومفهوم المساومة، ومفهوم التوسط، ومفهوم التحكيم، وتكمن هذه الأهمية في منع تصاعد أو إستمرار العنف وتحويل الصراع، وأحياناً ينتج عن هذه المفاهيم اتفاق توقعه الأطراف بما يُمثلُ إقراراً و رمزاً للنهاية الرسمية للصراع، وفي حالاتٍ أخرى كما

حصل في رواندا قد يتوقف العنف طريق الهزيمة العسكرية للمجموعة الأثمة أو المعتدية، إلا إن نهاية الصراع النشط أو العنف حتى وإن كان محصلة لاتفاقيات سلام رسمية لا يعني بداية علاقات سلمية حقيقية.. فالحلول التي تخضع للتفاوض قد تُرضي لدرجة ما القادة وبعض شرائح المجتمع إلا إن بعض أعضاء إحدى المجموعتين المتصارعتين قد لا يقبلونها وحتى أن قبلوها فهم كثيراً ما يستمروا بالتمسك بمعتقدات وآراء قد تُسهم في إعادة إيقاد العنف.. وفي حالات عديدة يُصبح أسلوب التوفيق ضرورة لمنع الدورات المُستمرّة من العنف، ويسمخُ ببناء علاقات مستقرة وسلمية بين مجموعتين على اثر الصراع المتصلب أو العنف الجمعي، ويعد أسلوب التوفيق عملية ونتيجة في الآن نفسه.. فأهدافه القريبة تسعى إلى إحداث تغييرات نفسية في توجه أعضاء المجموعات بعضهم نحو بعض، وفي فهمهم للماضي، وفي نظرتهم للمستقبل المشترك، وفي ماهيتهم وعلاقاتهم بالطرف الآخر؛ أسلوب التوفيق عملية تحدث بشكل طبيعي وعادة ما تكون بطيئة وفي أوضاع عديدة تتطلب جهداً نشيطاً؛ لتسهيلها، والتغلب على العوائق الاجتماعية والثقافية والنفسية المانعة لتطور هذا الأسلوب ونجاحه، وتعتمد طبيعة هذا الأسلوب ومحصلة خصائص المجموعات. وظروفها، فربما تكون المجموعات جزءاً من الكيان السياسي نفسه كي تستمر في العيش معاً! كما هو الحال في نيكاراغوا وجنوب أفريقيا؛ وربما تكون كيانات سياسية منفصلة كما هو الحال في إسرائيل ومصر؛ أيضاً هل كان العنف ترتكبه مجموعة واحدة أم كان عنفاً متبادلاً؟ ركزت فنياً بناء السلام وبشكل كلاسيكي على المظاهر البنائية لإجتراح أو تكوين علاقات بين الأطراف المتنازعة في الماضي، ويفترض إن المساواة في التفاعل بين الأطراف مع وجود إعادة هيكلة اقتصادية وسياسية تؤدي إلى صلات تعاونية من شأنها أن تُنتج استقراراً في العلاقات السلمية.

الأدبيات الأكاديمية ركزت على مثل هذه البنى الإرتكازية التي تستند إليها عناصر أسلوب التوفيق ولعل أهم هذه البنى الإرتكازية هي: الحفاظ على قنوات الاتصال والمشاورات بين الزعماء وممثلي المجموعات، وخفض التهديد والتوتر بنزع السلاح و نزع الصفة العسكرية، وتطوير تجارة حرة ومفتوحة و مشروعات اقتصادية تعاونية، و تضمين المجموعات كافة في نظام القوى، وبناء مساواة، وعدالة هيكلية، و حقوق انسانية ومدنية، و حوكمة سياسية ديمقراطية، و صنع مساواة في الفرص، و إعادة توزيع الثروة.. ولعل من الحظ السيء إلا تتضمن هذه المقاربات المفاهيمية علاقات وراوِب وصِلات سلمية دائمة مُستمرّة، وقد تنهض هذه العلاقات عبر الزمن بتوفيق ذي مغزى وسلام مستمر ولاسيما عند تدعيمها وإسنادها للاتصال العميق بين أعضاء المجموعة في سياق الجهود المشتركة... ولكن كثيراً

ما يندلع العنف مرةً أخرى قبل حدوث ذلك فضلاً عن إن تلك المقاربات تعوقها مشاعر العداء والكراهية التي لا تزال قائمة. (سيرز وآخرون، ٢٠١٧، ص ١٢١٥-١٢١٧). ولما أصبحت العملية الإرشادية علم له منهاج وخطط متعددة وبأساليب متعددة تبعاً لعدد من الأدبيات الإرشادية، فضلاً عن تعدد مشكلاته وتنوعها التي يواجهها الفرد والجماعات سواء أكانت تلك المساعدات الإرشادية نمائية أم وقائية أم تداخلية علاجية، وهذه الأساليب هي علمية وتقنية تعمل على تنمية ميوله وتوافقها مع البيئة، وتعد المنطلق الأساس للإرشاد وما يقدم من خدمة إرشادية متميزة للأفراد ذوي الحاجة إليها، كما تُعد جزءاً من الإرشاد النفسي؛ لأنها تسعى إلى تعديل السلوك أو تغيير الاتجاهات أو تنمية مهارات وقدرات كلها تستهدف تعديل الشخصية الإنسانية وتنميتها، وجعلها أكثر رُقياً واستعداداً وقُدرة لحل مشكلات المواجهة للمواقف الصعبة، وتنمية القدرات الإيجابية (التميمي والشمري، ٢٠٢١، ص ٤٧-٥٩). ويُعد أسلوب التوفيق أحد هذه الأساليب الإرشادية ويُعرف أسلوب التوفيق على أنه قبولٌ مُتبادلٌ من أعضاء مجموعاتٍ تُعادي بعضها بعضاً في الماضي، وجذر هذا القبول في الأبنية المجتمعية والعمليات النفسية المتضمنة والعاملية مباشرةً في تطوير مثل هذا القبول والحفاظ عليه. والقبول الحقيقي يعني الثقة المتبادلة مع الآخر، والموقف الإيجابي، والحساسية، والاعتبار تجاه حاجاته ومصالحه، ويصعب الوصول إلى النتائج المثلى وفقاً لهذا الأسلوب نتاجاً لما عاشته هذه المجموعات من صراعات.. أسلوب التوفيق عملية تنقل المشاركين في اتجاه تلك النتائج، وعادةً مع وجود بعض الانتكاسات في أثناء السير على طريق التوفيق.

عناصر التوفيق:

يتطلب أسلوب التوفيق تغييراتٍ نفسيةً أساسيةً في البنى النفسية لشرائح واسعة من الجماعتين المتصارعتين سابقاً؛ ويمكن التمييز بين عناصر عملية التوفيق ووسائل حدوثها، وتتضمن العناصر المقترحة العدالة، والذاكرة الجماعية المشتركة، وتضميد الجراح، والصفح، وفي العدالة فإن الناس ينشدون العدالة من وجودهم بمعنى إنهم ينشدون توزيع عطايا الحياة على أساس معيار مُحدد يتحقق فيه منظورهم عن الحق والصواب والخير؛ لكن هذا المعيار ظل منيعاً على التحديد أو الاتفاق بل إن التاريخ البشري يُمكن النظر إليه من زاوية إنَّه تاريخ الصراعات الدامية من أجل فرض معيارٍ موحدٍ للعدالة، ويرى بعض الدارسين أنَّ العدالة تجرّيداً في عالم العقل لا سبيل لتطبيقه في عالم الواقع، وإنَّ الذي جرى تطبيقه من العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ما هو إلا محاولاتٍ يُقصدُ من ورائها الحفاظ على الحقوق التي أقرها القانون الطبيعي والاخلاقي! ويذهب بعضهم مذهباً متفائلاً بقولهم إنَّ

الطبيعة البشرية قد ارتقت عبر التاريخ ما أوجد لدى الفرد نوعاً من الرقابة الذاتية التي تُلزمه باحترام قاعدة "عامل الآخرين بمثل ما تُحب أن يُعاملوك به" ومن ثم أصبح هذا الفرد يمتلك شعوراً داخلياً بالعدالة، و يتبنى آخرون موقفاً نسبياً بقولهم إنَّ العدالة ما هي إلاَّ تجلٍ لنفوذ الاقوياء في أي زمانٍ؛ فالأفراد الأكثر قوة يُصبحون أكثر نجاحاً وفي النهاية يقنعون أنفسهم والآخرين بأنَّ وسائلهم لتحقيق الأرباح، والمحافظة على مكانتهم ليست مقبولة فحسب ولكنها مرغوبةٌ واخلاقيةٌ وعادلةٌ أيضاً، ويرى "فرويد" (١٨٥٦-١٩٣٩) ضرورة العدالة بوصفها مطلباً اجتماعياً حتمياً للحد من عدوانية الفرد، إذ يرى في كتابه "قلق الحضارة" إنَّ الحياة المشتركة ممكنةٌ إذا شكَّلت الغالبية تجمعاً أقوى من قوه كُلِّ عضوٍ من أعضائه للمحافظة على تلاحمٍ متينٍ في مواجهة كُلِّ فردٍ وعندها تقفُ سلطة الجماعة بوصفها موقف المعارضة حقاً تُجاه سلطة الفرد الموصوف بالقوة العاشمة (نظمي، ٢٠١٩، ص ٦٩-٨٦).

الذاكرة الجمعية المشتركة. في أثناء عملية القتل الجماعي أو الصراع يكون للأطراف آراءً متنافرةً ومتضادةً عن الصراع وتاريخ علاقاتها، ويبدو إنَّ صنْعَ رأيٍ ووعيٍ مُشتركٍ أمرٌ بغاية الأهمية لتحقيق أسلوب التوفيق؛ على الرغم من عدم وضوح طبيعة وكيفية بناءٍ وصنْعٍ مثل هذا الرأي بالضرورة، ويُسمى هذا الرأي المُشترك بالذاكرة الجمعية المشتركة، وترى بعض الأدبيات إنَّ إعادة بناء الذاكرة الجمعية المُشتركة عُنصرٌ أساسٌ وبنيةٌ أصيلةٌ في أسلوب التوفيق الإرشادي؛ فالذاكرة هي المحور الأساس ذو الأهمية الكبيرة لكل العمليات العقلية وهي القوة التي تكمن وراء كُلِّ نشاطٍ نفسي وعقلي، إذمن دونها يرى الفرد تكراراً للحياة ولا يستطيع تعلمها وايضاً من دونها لا يمكن أن نمذ الماضي، ونستفيد منه في المُستقبل مروراً بالحاضر (الازيرجاوي، ١٩٩١، ص ٩). والذاكرة هي إعادة بناءٍ للماضي ينتقل من القوة الى الفعل، وهي إطارٌ في الواقع أكثر مما هي محتوى، وتضم مجموعة من الاستراتيجيات فهي موجودٌ قائمٌ والتجارب منها ستكون مستظهرة، فالذاكرة تصنعنا ونحن نصنع الذاكرة، والذاكرة والهوية مُرتبطتان إرتباطاً لا ينفصم (كاندو، ٢٠٠٩، ص ٣-١١). وترتبطُ الجماعات والمُجتمعات والثقافات وتتحدُّ بجملةٍ من المُعتقدات، والخبرات، والذكريات التاريخية المُشتركة، والتي تعملُ على شدِّ هويات الأفراد للجماعات الاجتماعية، والذكريات التاريخية والتي قد تكون أحداثاً ثابتةً عايشها كُلُّ أعضاء الجماعة، او ذكرياتٍ مُستلمةٍ، والقوية من هذه الذكريات سواءً أكانت حقيقية أم مُخترعة فهي ممكن أن تُشكل جذراً للحروب، والصراعات، والوطنية، والهويات الثقافية، فالتاريخ يُمثلُ مصدراً أساسياً للخبرات الجمعية في المُجتمعات المتنوعة فتلك الخبرات التي تتعكسُ إيجاباً وسلباً على طبيعة الحركة الفردية والجمعية في تلك المُجتمعات، إلاَّ إنَّه لا يكتسب تلك المصدرية من وقائعه الموثقة

كتابياً أو شفهيّاً أو مادياً وإنّما من نتيجة مرور تلك الوقائع عبر موشور البنية النفسية المعرفية -الانفعالية للأفراد والجماعات، وآليات تفاعل تلك البنية مع العوامل السياقية، الحافة بدینامیات تكوين تلك السردیات التاريخية وديموميتها وتغيرها أو بتعبيرٍ آخر تُمثّل الأحداث والشخصیات التاريخية في الذاكرة (جبر، ٢٠١٨، ص ٢٣). والذاكرة الجمعیة المشتركة، يستدعي تكوينها بناءً حقيقةً مُشتركةً وقبول الأطراف لهذه الحقيقة عن الماضي، كما يجب الاعتراف بأهمية سرد الماضي المُتنازع عليه وبقیمة هذا السرد المتنازع عليه؛ سردیة الماضي تُمثّل ثیمةً لاستمرار الصراع وهو عقبةٌ تحول من دون بناء السلام، ومن أجل بناء السلام لابدّ لكل مجموعة الاعتراف بدورها في تأجيج النزاع والانخراط في العنف ومسؤوليتها عن هذا الصراع، ومن الفنیات المُعتمدة في ذاكرة جمعیة مُشتركة:

١- التفاوض: إحدى الفنیات المُعتمدة في بناء سردیة جمعیة مُشتركة هي التفاوض والذي عن طريقه يتم الوصول إلى تزامنٍ في قصة المجموعتين، وإفراز سردٍ جديد، ومع مرور الوقت قد يكون هذا السرد الجديد بديلاً يُعوض ويُشبع الذاكرة الجمعیة المُتعدده، ويعملُ معادلاً موضوعياً للسردیة القديمة، وهذا ما نجحت فيه المفوضیة الفرنسية الألمانية للمؤرخين وكانت خير مثالٍ لفنية التفاوض هذه، فخلال خمسينيات القرن الماضي كانت قد فحست وبشكلٍ نقديّ الأساطير الخاصة بالعداء المتوارث بين الشعبين الألماني والفرنسي كافة، وراجعت هذه المفوضیة كتب التاريخ القائمة، وكنتاج نهائيّ لعملها أنتجت المفوضیة سرداً جديداً لتاريخ الأمتين، غير أنّ مثل هذه المفاوضات عادةً ما تكون مُستحيلة حينئذٍ تندمل الجراح وتُبلّسُ بعد.. والآلام ما زالت حادة. ولابدّ لفنیاتٍ وعملياتٍ أخرى مثل: تضميد الجراح أن تكون سابقةً لها والمثال الأهم لذلك ما حصل في راوندا عندما أكدت مجموعة من الزعماء بشدة على أهمية الذاكرة الجمعیة المشتركة؛ ولكن هذه المجموعة من الزعماء استدرکت بأن هكذا نموذج يُعدّ إنموذجاً مثالياً قد يصعب تحقيقه عملياً، في ذلك الوقت على الأقل.

٢- تضميد الجراح والصفح: الجدال الأكاديمي يرى إنّ الجراح النفسية الناتجة عن سنوات العنف، والحزن، والألم، والشعور، بالغضب، والرغبة بالثأر وبأنهم الطرف الذي كان ضحية... لابدّ أن يُعترف بها الطرف الآخر والأطراف الخارجية، ويقترح هذا الجدال إنّ أسلوب التوفيق حتى يكون فاعلاً يستدعي عملية تضميد جماعية وصفحاً عن سوء أفعال الخصم، ويُبنى تضميد الجراح هذا على الإقرار بالآلام الطرف الآخر ومعافاته ومُساعدة أعضائه على اختبار خبراتهم المؤلمة تحت ظروفٍ أكثر أماناً، ودعمهم في تأبين خسارتهم، والتأكيد على تجربة الألم واللوعة التي مروا بها، وإظهار التعاطف والدعم والإسناد والتعزيز،

تضميد الجراح يُهيأ لمساحةٍ يُمكنُ عن طريقها تقديم الصفحِ عن الآخرين والمُسامحة وقبولهما **Forgiveness of Other** (سيرز، ٢٠١٧، ص ١٢٢). فأغلب الأفراد مُستعدون أولاً على الأقل للإستجابة مع المتجاوزين بالأشكال الأخرى من السلوك السلبي كتجنبِ الاتصال مع الأفراد المتجاوزين أو البحثِ عن الثأر والانتقام، فعندما يصفحُ الفرد عن الآخرين فهم يُوقفوا هذه الدوافع للانتقام أو البحثِ عن الثأر؛ لذلك فإنَّ إحتماليةَ الحفاظِ على العلاقاتِ بين الأفراد تكون مُنجمَةً وهادفةً للخير، وتزدادُ أكثر مع الأفراد المتجاوزين ، فعندما يصفحُ الناس عن الآخرين فإنَّ تصوراتهم عن المتجاوزين أو المسيئين أو للموقف المتجاوزة لم تُعدْ تُثيرُ لديهم دوافع التجنبِ أو الرغبة بالثأر، وإنما لا بدَّ أن يَشعرَ الفرد الصافح بعودة الدوافع المحركة للخير، فالصفحُ هو ليس دافعاً بحد ذاته بقدر ما هو تَغيراتٍ مُعقدة اجتماعية إيجابية في الفرد ودوافعه، والصفحُ هو تأطيرُ التجاوزِ بصورةٍ مُدركة كاستجابة الفرد لتجاوزٍ أو عدوانٍ مُعين، إذ إنَّ هذه التجاوزات تتحولُ من الجانبِ السلبي الى الجانبِ الإيجابي. وقد يكون هدف الصفح شخصاً أو أفراداً أو موقفٍ عدة يراه الفرد خارج إمكانية سيطرته مثل: الكوارث الطبيعية أو القدر، فعندما يصفحُ الفرد عن الآخرين، ويُقرُّ بحصولِ التجاوزِ فَبَعْدَ ذلك يقومُ بالعملِ المعرفي والوجداني والسلوكي الضروري لإعادة تأطير العدوان، إذ إنَّ استجابتهم للعدوان لم تُعدْ سلبية، وتذكرُ الأدبيات إن الصفحَ يُعزفُ على إنَّه استعدادٌ ذو مجموعةٍ من الأفكار والمشاعر والسلوكيات التي يُدركها الفرد بشكلٍ تُغيّرُ الفردَ من الجانبِ السلبي الى الإيجابي تجاه الآخرين، وهو تركيبةٌ مُتجانسة ، ومجموعةٌ من التغيراتِ الاجتماعية التحفيزية الإيجابية التي تحصلُ عندَ تعرضِ الفردِ الى الجورِ أو الظلم أو التعدي. فالأفراد الذين لديهم استعداد للصفح عن الآخرين يميلون الى أن يكونوا أكثر مقبولية عاطفياً أو إنفعالياً ويكونوا أكثر استقراراً (جاسم، ٢٠١٨، ص ١٧-١٩)، ويُعدُّ الصفحُ ذا قيمةٍ عاليةٍ ولاسيما في حالاتِ المسؤولية غير المتساوية عندما يُنظرُ لطرفٍ على إنَّه المسؤولِ المُباشرِ لاندلاعِ الصراعِ أو العنفِ أو استمراره؛ فللمُسامحةِ والمغفرةِ رمزيةٌ فهي تعني الابتعادُ النفسي عن الماضي، وإنَّ عمليةَ التضميدِ والصفحِ والمُسامحةِ صعبةٌ للغاية؛ ولاسيما في المُجتمعاتِ شديدةِ الإنقسامِ مثل: جنوب أفريقيا، وأيرلندا الشمالية.. إن لم تكن مُستحيلة! إنَّ أسلوبَ التوفيقِ لا يدورُ حول المُسامحةِ والصفحِ عن الأفعالِ الفظيعةِ التي ارتكبت في سياقِ التمييزِ العنصري، لكنها تدورُ حول كيفية مشاركة الجميع في بناءِ مُجتمعٍ جديد، وباعتمادِ نظرةٍ تمييزيةٍ بين مفهومَي تضميدِ الجراحِ والمُسامحةِ، نجدُ هناك مساحةً بينهما فَبَعْدَ العنفِ الحادِ يصعبُ التفكيرِ في المُسامحةِ والصفحِ، كما يصعبُ فهمِ طبيعتها، فمن المهمِ استبانةِ توقيتِ المُسامحةِ والغفرانِ ودرجةِ موضوعهما.. بمعنى هل المطلوبُ مُسامحةِ الأثمين أو

أعضاء المجموعة الآثمة الذين لم يرتكبوا اثماً؟ وفيما تُعزَّرُ المُسامحةُ والصفح من احتمالات نجاح أسلوب التوفيق يبدو تضميد جراح الماضي أكثر قيمةً.. إلا إنَّ المُسامحةَ والصفح تبدو مُتجذرةً في التوفيق التام والقبول الحقيقي للآخر، إنَّ فهمَ المؤثرات التي أنتجت أفعالاً آثمةً بغض النظر عند فظاعتها؛ يُسهِّمُ في التئام الجراح وقد يكون أيضاً طريقاً لقبول الآخر.

إنَّ تضميدَ جراح الماضي فيما يرتبط بالإحساسِ بإنَّ طرفاً ما.. كان ضحيةً لطرفٍ آخر أمرٌ ضروري لمنع تجددِ العُنفِ، ومن دون تضميدِ الجراح، وحين تستمرُّ الأطرافُ بالعيشِ معاً قد يؤدي الغضبُ والرغبةُ في الثأرِ إلى تأجيجِ العُنفِ من الضحايا السابقين، فضلاً عن عدم تضميدِ الجراحِ قد يُنتجَ ردَّ فعلِ الضحايا السابقين تُجاه التهديدِ إلى أن يُصبحوا مُنتجين للعُنفِ تجاهِ مجموعاتٍ أخرى لم تُسهِّمُ في الأهم، تضميدِ الجراحِ للشخصيات الآثمة قضيةٌ ضروريةٌ أيضاً فربما هولاء الآثمون هُمُ نتاجُ لجراحٍ أُصيبوا بها وتَسببَتْ بأفعالهم، فضلاً عن ذلك قد يتعرضُ الآثمونَ أو حتى أعضاء المجموعة الآثمة لجراحٍ بشكلٍ مباشرٍ عبر العُنفِ الحادِ الذي انخرطوا أو انخرطت فيه مجموعاتهم؛ فأفعالهم وردود أفعالهم الدفاعية تُجاه العُنفِ الحادِ سوف تُخفِّضُ من قابلياتهم على التعاطفِ أو الشعورِ بالذنبِ، وقدرتهم على التوافق في المراحل القادمة، وِعوضاً عن ذلك يتجهوا وباستمرار في إلقاء اللومِ على ضحاياهم أو أعدائهم السابقين حتى وإن تم إيقافهم، وإنزال الهزيمة بهم أو التوصلِ إلى اتفاقيةٍ تُنهي هذا الصراعِ المُتصلبِ، تضميدِ الجراحِ يُساعدُ على إثباتِ الذاتِ، ورفعِ مناسيبِ الثقةِ في الآخرين والعالم، أسلوب التوفيق لا يبدأ العملَ به ومن المستحيلُ أن يبدأ إلا بتضميدِ الجراحِ ولاسيما حين تستمرُّ المجموعاتُ المتناحرةُ سابقاً في العيشِ معاً قد لا ينبغي تضميدِ الجراحِ الذي يقتضي مُسبقاً درجةً من الأمن، والراجحُ إنَّه يتبعه صُنعُ تاريخٍ مُشتركٍ وذاكرةٍ جماعيةٍ جديدةٍ (سيرز، ٢٠١٧، ص ١٢١٧-١٢٢٢).

فنيات أسلوب التوفيق الإرشادي:

من الفنيات والاستراتيجيات التي تعتمدُ بوصفها أساساً لتفعيلِ أسلوبِ التوفيقِ، وبعضُ هذه الفنيات هي جزءٌ من السياساتِ الرسميةِ للدولِ وبعضها الآخر يتمُّ تنفيذُهُ بصفةٍ غير رسميةٍ، وسنحاولُ هنا تقديمَ توصيفاتٍ لهذه الفنيات التي أتمدتُ في أسلوب التوفيق مع الإبادة الجماعية، والقتل الجماعي، والصراع المُتصلبِ للتوفيق بين الدول وكذلك داخل الدولة الواحدة.

أولاً. فنية الاعتذار:

يعد الاعتذار المُقدم لمجموعةٍ أخرى اعترافاً بمسؤولية إيقاع الضرر بها، ومناشدةً للضحايا للعفو والصفح عنهم، ويتضمن الاعتذار التزاماً بإقامة الحق والعدالة، كما إنَّ الاعتذار يصنع نقلةً نفسيةً عند الضحايا تُساعدُ على تضييد الجراح والعفو؛ ولعلَّ من خير الأمثلة على الاعتذار هو الاتفاق التشيكي الألماني الخاص بالعلاقات المتبادلة وتطورها المستقبلي والموقع في كانون الثاني عام ١٩٩٧، إذ يُعدُّ مثالاً عن الاعتذار المتبادل، وقد قَبِلتُ ألمانيا المسؤولية عن أحداث الحرب العالمية الثانية ومواقفها، كما أعربتُ ألمانيا عن أسفها للمُعاناة والضرر الواقعين على الشعب التشيكي فيما أعرب التشيكي عن أسفهم للمُعاناة والضرر الواقعين على الألمان الذين طُردوا من منطقة "سودتن" بعد الحرب، وكما تشيِّر هذه الحالة إلى إنَّ هُناكَ حاجة إلى الزمن وتبَلُّس الجراح؛ لتتمكن المجموعات من الاعتذار ولاسيما إذا ما عَلِمنا إنَّ الحدثَ حَصَلَ عام ١٩٩٧ والحرب العالمية الثانية انتهت سنة ١٩٤٥.

ثانياً. مفوضية الحقيقة:

تَسْتَبِينُ هذه المفوضية الحقيقة ما حَدَثَ بالفعل.. كما إنَّها ترفع النقاب عن انتهاكات الحقوق المدنية، وحقوق الإنسان، والتمييز، والعنف الذي ترتكبه المؤسسات الرسمية من دولٍ ومجموعاتٍ وأفراد، وفي السنوات الأخيرة خرجت عن مفوضيات الحقيقة أشكالاً أخرى في جنوب إفريقيا، وتشيلي، والارجنتين، والسلفادور، والهندوراس، وأوروغواي، وراوندا، ولعلَّ أهم مفوضية حقيقة هي مفوضية جنوب إفريقيا للحق، التي حصلت على اهتمام بالغ؛ فالوصول إلى الحقيقة والاعتراف بمُعاناة الضحايا يُساعدُهم على تضييد جراح، كما إنَّ التوثيق لسلوكيات الأثمين وأفعالهم يُقلِّل من احتمال شعورهم أو إدعائهم أنَّهم ضحايا كما يُقدم أصلاً وأساساً للتاريخ الجماعي الذي يأخذُ في الحسبان الأدوار كافة.. فالحقيقة كثيراً ما تكون مُعقدة، ومركبة، وصعبة البلوغ.

ثالثاً. المحاكمات العامة:

تقدمُ المحاكمات العامة الفرص للوصول إلى حقيقة، والاعتراف بمُعاناة الضحية، وتحقيق الرغبة متصلة الجذور في الأخذ بالنار، كما تُشبع الحاجة للعدالة والقضاء مسؤولية ارتكاب الجرائم على أشخاصٍ مُعينين تُقلِّل هذه المحاكمات من المسؤولية الجماعية للمجموعة التي ينتمي إليها الأثمون. وقد تُساعدُ مُعاقبة الأثمين على منع تكرار هذا العنف الجمعي؛ إذ إنَّها توضحُ إنَّ الجُناة يُمكنُ الإمساك بهم، ومحاكمة المتهمين، وإنزالِ القصاص والعقاب بهم، كما قد تُساعدُ على إشباع الحاجات الأساسية للضحايا من الأمن، والهوية الإيجابية،

والفهم العميق للواقع، وقد تمت إقامة محاكمات نيرمبيرغ ومحكمة جرائم الحرب لمحاكم الأثمين في يوغسلافيا السابقة وراوندا، كما أقيمت المحكمة الجنائية الدولية عام ٢٠٠٢ في جزءٍ منها لتأدية تلك الوظائف.

رابعاً. دفع التعويضات:

يعد دفع التعويضات اعترافاً بالذنب والأسف من جانب الأثمين وقد يكون قبولها خطوة من جهة الضحايا في تجاه الاستعداد للمصالحة والمثال الأهم كمصادق لما نقول هو التعويضات التي دُفعت لضحايا التشيك من الحكومة الألمانية؛ لمعاناتهم في أثناء الاحتلال الألماني من ١٩١٩ الى ١٩٤٥، ويسهم تحسين الأوضاع الاقتصادية للمهمشين في أثناء العنف المرتكب ضد مجموعتهم بالشكل المهم في الشعور بالعدالة والانفتاح على تداخلية أسلوب التوفيق الإرشادي.

خامساً. التعليم:

يُعد التعليم أداةً وإستراتيجيةً مهمةً لتحقيق أسلوب التوفيق الإرشادي ويتمظهر أغلبه بالتعليم على السلام و بناء السلام في المدارس، ويتضمن الدعم والاسناد بفهم بذور العنف بين الراشدين. ويهدف تعليم السلام الى التأثير على المعارف، والادراكات، والمشاعر، والاتجاهات، والدوافع وحتى يكون فاعلاً لابد له من أن يحوي التعليم والتعلم إجراءات التطبيق وذلك عبر التجربة، وتستلزم هاتان الوظيفتان (التعليم والتعلم) تدريب المعلمين، إذ تستلزم الوظيفة الأولى تحديد الأهداف التعليمية، وإعداد المنهج كما يتطلب التعليم عبر التجربة تطوير مناخ مدرسي ملاءم، ويحوي علاقات وصلات إيجابية بين الطلبة والمدرسين وبين الأقران، ويستلزم بناء جماعات في الفصول والمدارس، ومشاركة الطلبة في النظام الذي ينهض بالاتجاهات الايجابية نحو الناس بشكل عام ونحو أفراد المجموعة الأخرى بشكل خاص؛ اذا كانوا حاضرين، وتحسس المسؤولية باتخاذ الإجراءات بالنيابة عن الآخرين ومن ثم بالنيابة عن السلام، إن التعليم الحقيقي على بناء السلام يستلزم نوعاً من تنشئة الاطفال الذي يطور الاهتمام بالآخرين والاهتمام بالناس من خارج المجموعة التي ينتمي اليها الفرد بما في ذلك المجموعة التي سبق الحط من قدرها، في المجتمعات التي يعترتها الصراع. في أمريكا الجنوبية يتناول التعليم بناء السلام والقضايا المتعلقة بحقوق الانسان، ومنع العنف الجمعي، واللامساواة الاقتصادية. وفي ايرلندا الشمالية يوظف التعليم على بناء السلام ببرامج من على التقاهم المتبادل، يهدف الى بناء ثقافات حقيقية للسلام في الأنظمة المدرسية البروتستانتية والكاثوليكية. وفي اليابان يتناول التعليم الفضاخ التي ارتكبتها اليابانيون في أثناء الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن تناوله لمعنى الاعتذار.

سادساً. المشروعات المشتركة:

يمكن للمشروعات المشتركة أن تطور الصلات والروابط بين أعضاء مجموعتين، وقد تحوي تلك المشروعات النخب والمهنية فضلا عن المجتمع المحلي الأكثر اتساعاً فهي تقدم فرصاً للمقابلات الشخصية التي عن طريقها يستطيع الخصوم السابقون انتاج علاقات شخصية وكل ما أنجزت ونجحت تلك المشروعات في إنتاج انخراط وإنغماس عميق تحت ظروف ايجابية كلما زاد احتمال فاعليتها في التغلب على العداء السابق، فضلاً عن ذلك قد تبني المشروعات المشتركة اعتمادية بينية وأهدافاً مشتركة، ومُحصلات تعود بالنفع على أعضاء المجموعتين، تتنوع المشروعات المشتركة بأشكالٍ متعددة وخير الأمثلة لذلك عملية التوفيق الفرنسية الألمانية وهي مشروع توأمة بين مدينتين، بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٢ نتاجه كان تكوين ١٢٥ شراكة بين المُدن الفرنسية والألمانية، وبحلول عام ١٩٨٩ كان هذا المشروع قد امتد ليتسع ويتضمن ١٣٠٠ مدينة؛ كما تجاوز المُدن ليتضمن علاقات توأمة بين المدارس الثانوية والجامعات (سيرز وآخرون، ٢٠١٧، ص ١٢٢٠-١٢٢٣)

المحور الثالث: أنموذج تطبيقي لأسلوب التوفيق في العالم الواقعي..

من الأمثلة على التدخل الإيجابي لأسلوب التوفيق الإرشادي للنهوض بتضميد الجراح والصفح هو ما حصل في راوندا على إثر الإبادة الجماعية التي حصلت في هذا البلد مُتضمناً تقييماً تجريبياً عن فاعليته، فتضميد الجراح يستلزم الانخراط والإنغماس بتجربة درامية، والحصول على إسناد الآخرين وتعزيزهم وتعاطفهم، ويستلزم أيضاً إعادة الاتصال مع الآخرين وهو ما قد يحصل جزئياً عبر هذا الإسناد والتعاطف، إن حديثاً في مجموعات صغيرة عن خبراتها مع الدعم بعضهم مع بعض قد يدعم تضميد الجراح، ويصبح آلية وأداة للتوفيق بينهما، ولاسيما حينما يُتاح تضمين أعضاء من المجموعتين، وهذا ما أُعتمد بوصفه أحد عناصر التدريب المستعمل في راوندا، فالتواصل بين الأفراد لفظياً عن قتل أعضائهم، وكيفية تمكنهم من البقاء أحياء، وتحديثهم أيضاً عن أصولهم الأسرية المختلطة، واختبائهم في أثناء الإبادة الجماعية بسبب الام المنحدرة من "التوتسي" وعدم أعضاء من المجموعة الأثمة بعد الإبادة الجماعية؛ لانحذارهم من أب من "الهوتو" لقد تعاطفوا ودعم بعضهم بعضاً، وتضمن التدريب عناصر نفسية تعليمية، ومحاضرات موجزة تلتها مناقشات مُستفيضة، وتضمنت الموضوعات ضغوط ما بعد الصدمة على الأفراد؛ لمساعدتهم على فهم تجاربهم وآليات تضميد الجراح؛ كما تضمنت تعلم كيف تبدأ الإبادة الجماعية مُقترنة بالأمثلة عن الإبادة الجماعية والقتل الجماعي، لقد بدأ وكأن المشاركين من "التوتسي" قد شعروا بآدميتهم، فاذا كانت الإبادة الجماعية وعلى الرغم من فضاة درامياتها قد حدثت في بقاع أخرى فهي

عمليات إنسانية مفهومة، وإنّ الذي حَدَثَ اذا في "راوندا" لا يستبعدهم من المُجتمعِ الإنساني، فضلاً عن ذلك لابدّ من الأخذِ في الحسبانِ القوى المُساعدةِ للأثمين، والتي أفصحت عن نقله نفسية في موقفهم تجاه الأثمين، لقد صرّح المشاركون إنّ تفهمهم لجذور الإبادة الجماعية سوف يُمكنهم من إتخاذِ إجراءاتٍ وقائيةٍ فالتدخلاتِ المقصودةِ باعتمادِ أسلوبِ التوفيقِ الإرشادي المُبنى على استراتيجياتِ الحوارِ لحلِ الصراعِ في المجموعاتِ الصغيرةِ ينذرُ تقييمها وإذا ما حَصَلَ فإنّ ذلك التقييمِ يكونُ أساساً من قبيلِ الطرفية! لقد تمَّ إعدادُ تقييمٍ رسمي لها للتدخلِ ليس مع المشاركين ولكن مع الناسِ بعدَ خروجهم. لقد عمَلَ المشاركون في التدريبِ مع هيئاتٍ غير حكوميةٍ تعملُ مع مجموعاتٍ في المجتمعِ المحلي، ثم عمَلَ بعضهم لاحقاً مع مجموعاتٍ حديثةِ التكوينِ لمدةِ ساعتين ومرتين في الاسبوعِ لمدةِ ثلاثةِ أسابيعٍ لأدماجِ تلكِ المقاربةِ المستعملةِ في التدريبِ مع مقارباتهم التقليدية، وقد عمل المُنسقون الآخرون الذين لم يحصلوا على التدريبِ مع مجموعةٍ حديثةِ التكوينِ باستعمالِ أسلوبهم التقليدي، وكان لهؤلاءِ المشاركين في تلكِ المجموعاتِ طرائقُ لقياسِ تجاربِ الصدماتِ وأعراضها، وقياسِ جديدٍ لتوجهه الآخر الذي تمَّ تنفيذه قبلَ التدريبِ ومباشرة بعدَ التدريبِ وبعدَ مرورِ شهرين، ولم يحصل المشاركون في المجموعة الضابطة على تدريبٍ ولكنهم خضعوا لتلكِ القياساتِ النفسية في الوقت نفسه تقريباً، وضمتُ المجموعة أعضاءً من قبيلتي "الهوتو" و"التوتسي" لقد تضاءلتُ أعراضِ الصدمة للمشاركين في المجموعة المتكاملة من التجربة الأولى الى الثالثة، وبالمقارنة بالمجموعاتِ الأخرى لقد أصبحت توجهاتهم نحو أعضاء المجموعة العرقية الأخرى أكثر إيجابية بمقارنة التجربة الأولى بالتجربة الأخيرة وبمقارنة المشاركين في المجموعاتِ التقليدية مع المجموعة الضابطة، لقد تكونتُ الزيادة في التوجه الإيجابي من النظر الى الإبادة الجماعية على أساسِ كونها عملية ذاتِ أصولٍ مُعقدة، والإعرابِ عن الرغبة في العمل مع المجموعة الأخرى؛ لتحقيقِ الأهدافِ المهمة مثل: المُستقبلِ السلمي، والصفح من دون شروط، والتعبير عن الرغبة في العفو الى اعترافِ أعضاء المجموعة الأخرى بأفعالهم واعتذارهم عنها، وخُلاصة القول نَمَّةٌ وسائل مختلفة للنهوضِ بعملية التكيف والتوافق النفسي، فضلاً عن عناصرٍ مُجددة تُسهم في ذلك، ومثالاً قد يحدثِ تضמידِ الجراحِ عبر اعترافِ الشهود، وحفلاتِ التآبين، والحفلات التي تحوي مجموعاتٍ كثيرة من الأفراد فإنها تُعزّزُ الانخراطِ في تجاربِ الآخرين، وبتقديمِ الدعمِ الا إنّ اعترافَ الشهودِ والتعبيرِ لابدّ أن يكونَ من النوعِ الصحيحِ وإلاّ فأنته قد يُسهمُ في الاحتفاظِ بالجراحِ، حتى يحدثُ التضמידِ، ويتكللُ أسلوبِ التوفيقِ بالنجاحِ لابدّ للتآبين من أن يصلَ ويربطَ الناسَ بعضهم ببعضٍ، وأن يُشيرَ الى مُستقبلٍ مُشتركٍ واعد، وكلما أسندتُ وعززتُ

سياساتٍ وممارساتٍ مؤسساتٍ الدولةٍ أو الدول والقياداتٍ تداخليةٍ أسلوب التوفيقِ العلاجيةِ الإرشاديةِ الموصوفةِ أنفأً كلما كان من الأرجح أن تكون هذه التداخلية أكثر فاعلية واستلزمت هذه التغيرات الإدراكية والوجدانية مزيداً من الآليات . ويعتمد المزيج الأمثل طبيعة الصراع وحجم العنف الجمعي و مدى مسؤولية أحد الأطراف أو الطرفين معاً عن اندلاعه، وعن سوء التصرف، وتاريخ العلاقات السابقة بين المجموعات ، وثقافة المجموعات المنخرطة ، ووجود موارد إقتصادية، وانخراط الجماعة الدولية وما إلى ذلك ولعل واحدة من أهم القضايا هي: تطوير المعرفة عن أكثر الوسائل افادة تحت ظروف معينة (سيرز وآخرون، ٢٠١٧، ص ١٢١٠-١٢٢٩).

الاستنتاجات:

- ١- إن أسلوب التوفيق لا يتحقق إلا باشتراطاته الأصلية المتمثلة بالاقتصاد والاعلام صادق النوايا في بناء تصالحية حقيقية بدور واضح للزعماء.
- ٢- لا يعني أسلوب التوفيق تذويب المبادئ والهوية الأصلية لأي طرفٍ للعملية التوفيقية.

المقترحات:

- ١- اعتماد أساليب أخرى غير أسلوب التوفيق الإرشادي ذات الاشتراطات الأقل كلفة.
- ٢- تعميم تجربة التصالحية واعتماد أسلوب التوفيق الإرشادي في بلدنا العراق.

المصادر:

- ١- سيرز وآخرون (٢٠١٧). المرجع في علم النفس السياسي، ترجمة: ربيع وهبة وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- ٢- الأذرباوي، فاضل محسن (١٩٩١). أسس علم النفس التربوي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر.
- ٣- أبو نصر، سامية (٢٠١٠). الاعلام والعمليات النفسية في ظل الحروب المعاصرة واستراتيجية الحروب، القاهرة، دار النشر للجامعات.
- ٤- كاندو، جويل (٢٠٠٩). الذاكرة والهوية، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب.
- ٥- جبر، لؤي خزعل (٢٠١٨). الذاكرة التاريخية والثقافة السياسية، دراسة نفسية في ديناميات العجز المتعلم الجمعي في المجتمع العراقي، بيروت، دار الرافدين.
- ٦- التميمي والشمري، محمود كاظم وسلمان جودة. (2012) الأساليب والبرامج الإرشادية، بغداد، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي.
- ٧- الشمسي، عبد الأمير (٢٠). علم النفس العام، بغداد.

- ٨- جاسم، مروه مُنیر (٢٠١٨). الصفحُ عن الآخرین وعلاقتهُ بالسعادةِ الحقيقية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.
- ٩- نظمي، فارس كمال (٢٠١٩). الاعتقاد بعدالة العالم.. الوهم والضرورة، بيروت، دار الرافدين.
- ١٠- عودة، محمود (١٩٨٩). أساليب الاتصال والتغير الإجتماعي، الكويت، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١١- أبو أسعد وعربيات، أحمد وأحمد (٢٠٠٩). نظريات الإرشاد النفسي والتربوي، عمان، دار المسيرة.
- ١٢- هوتون، دايفيد باتريك (٢٠١٥). علم النفس السياسي، ترجمة: ياسمين حداد، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- ١٣- أبو أسعد، أحمد (٢٠١١). العملية الإرشادية، عمان، دار المسيرة.

Gladding, R.K. (1996). *Counseling: a comprehensive*. Englewood, New Jersey: Prentice Hall.

Matsumoto, D. (2009). *The Cambridge Dictionary of Psychology*, London, Cambridge University press.

Abstract

Genocide has affected human societies since ancient times, and in the modern era the genocide is a global phenomenon: from the massacres in colonial America, Africa and Australia.. to the Holocaust of European Jews and mass death in Maoist China, Cambodia, Palestine and Burma, and in our Iraqi reality there are what is known as the Anfal, Halabja and the genocide of the people of Marshes, Speicher and Sinjar are examples for the genocide in our country, and in recent years the system of genocide studies has developed to provide analysis and understanding of the phenomenon and an understanding of the psychology of violence as well as the development of counseling and psychological assistance for survivors within the psychology of genocide survivors, and since psychological counseling as an applied branch of psychology it contributes to helping individuals survivors of the horror of the genocide.. to see and realize their psychological strength and resilience and to invest the best options, resources and opportunities available to them (Gladding, 1996). Therefore, the current research comes to review a number of counseling styles and their techniques with the victims of genocide, and their role in overcoming the painful experiences of extermination to which these individuals were exposed. The research concludes with a number of conclusions and suggestions in making the support and assistance necessity and higher value imposed by human, ethical and religious considerations. The research also recommends to adopt a national strategy that the state has to adopt in most of its institutions in establishing support and assistance centers for victims of genocide.